الأستاذ: النذير ضبعي

السنة: أولى ماستر

المادة: آليات الحجاج

التخصص: نقد حديث ومعاصر

المحاضرة رقم07 من 12

عنوان المحاضرة: أدوات الربط الحجاجي المنطقية:

العوامل الحجاجية:

اهتم "ديكرو" بالروابط الحجاجية لما لها من دور بارز في الخطاب، فهي تساعد على فهمه وتأويله، وقد "أدت أعماله إلى شيوع الروابط التداولية في علم الدلالة، وفي التداولية أساسا"[1]، حيث اقترح وصفا بديلا للوصف التقليدي لهذه الأدوات والروابط، حيث أضاف إليها المكون الحجاجي أو الوظيفة الحجاجية، فكلمة "حتى" مثلا لا يقتصر دورها على إضافة معلومة للقول، بل إدراج حجة جديدة أقوى من سابقتها[2].

وينبغي التمييز بين نوعين من المؤشرات الحجاجية: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية؛ فالروابط تربط بين قولين، أو بين حجتين أو أكثر، وتسند لكل قول دورا محددا، منها: بل، لكن، لاسيما، إذن، بما أن، إذا... أما العوامل الحجاجية فهي لا تربط بين حجة ونتيجة، أو بين مجموعة حجج، بل تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية لقول ما، ومنها: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما، إلا...، وكل أدوات القصر[3].

ولتوضيح مفهوم العامل الحجاجي يمكن أن نسوق المثال الآتي:

---

[1] - آن روبول - وجاك موشلر، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص169.

[2] - ينظر، الحجاج في الدرس اللغوي الغربي، ص 20.

[3] - ينظر، ابو بكر العزاوي، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ص 64.

1- طالعت كتابا.

2- ما طالعت إلا كتابا.

فالملاحظ في المثال الأول أنّه لديه قيم حجاجية متنوعة تعرف حسب السياق، مثل كثرة المطالعة، والاجتهاد، وقد تكون عكس ذلك، أما المثال الثاني فهو يحمل قيمة حجاجية واحدة وهي قلة المطالعة، كما أنّ قيمته الإخبارية لم تتغير، لكن القيمة الحجاجية تغيّرت وتأثّرت.

وسنحاول التفصيل فيما يأتي:

أ- **العامل "ما...إلا"**: وهو من التراكيب التي تترتب فيها الحجج حسب درجتها الحجاجية، حيث تترتب في سلم حجاجي واحد، فهو عامل يوجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض، وهو ما يستثمره المرسل عادة لإقناع المرسل إليه[4]، ويكون وفق الشكل الآتي:

أداة النفي"ما" ⟵ نتيجة ⟵ أداة استثناء "إلا" ⟵ حجة

ويقوم العامل الحجاجي "ما...إلا" بحصر الإمكانيات الحجاجية للملفوظ، وهو ما يتبين في قول الجرجاني: "اعلم أنك إذا قلت: ما جاءني إلا زيد، احتمل أمرين؛ أحدهما أن تريد اختصاص زيد بالمجيء، وأن تنفيه عمن عداه، وأن يكون كلاما تقوله لا لأن بالمخاطب حاجة إلى أن تعلم أن زيدا قد جاءك ولكن لأن به حاجة إلى أن يعلم أنه لم يجئ إليك غيره، والثاني أن تريد الذي ذكرناه في "إنما" ويكون كلاما تقوله ليعلم أن الجائي زيد لا غيره"[5].

وقد تطرق القدماء إلى دور هذا العامل الحجاجي في التأكيد والإثبات، وفي هذا يقول الجرجاني: "وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو: "ما هذا إلا كذا"، و"إن هو إلا كذا" فيكون لأمر ينكره المخاطب ويشك فيه، فإذا قلت "ما هو إلا مصيب" أو "ما هو إلا

[4] - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 519-520.

[5] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 334-335.

مخطئ"، قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلت، وإذا رأيت شخصا من بعيد فقلت: "ما هو إلا زيد"، لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس زيد، وأنه إنسان آخر، ويجد في الإنكار أن يكون زيدا"[6]، فقد بين الجرجاني أن الوظيفة الأساسية لهذا العامل هي الوظيفة الحجاجية لا الإخبارية.

ب- العامل إنّما: يعد العامل "إنما" من أبرز العوامل الحجاجية التي تحصر الإمكانات الحجاجية للملفوظ.

ومثال ذلك: "**تبّاً لمُفتَخِرٍ بعَظْمٍ نخِرٍ، إنّما الفخْرُ بالتُّقى والأدَبِ المُنتَقى**"[7].

يبدو جليا أن المتكلم في سياق تحاور وجدال، فقد حصر الفخر في التّقى والأدب المنتقى دون سواه، وهي الحجة التي أتى بها ليثبت أن الفخر لا يكون بعظم بال.

ويظهر دور الرابط الحجاجي "إنّما" في توجيه الملفوظ نحو وجهة حجاجية واحدة دون سواها فقد قام بحصر الإمكانات الحجاجية في التّقى والأدب، وأبعد جميع الحجج المتعلقة بالفخر، وعليه فإن دور العامل إنما" يقتصر على الحجاج لا الإخبار، وهو ما تنبّه إليه العرب القدامى، حيث يقول الجرجاني: " اعلم أن موضوع "إنما" على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة، تفسير ذلك أنّك تقول للرجل: "إنّما هو أخوك" و"إنّما هو صاحبك القديم" لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقرّ به، إلا أنك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب"[8].

فهو يبين أن "إنما" لا تأتي لإعطاء معلومات أو خبر يجهله المخاطب، وبذلك فهي تفقد قيمتها الإخبارية، غير أنّها تزيد في القوة الحجاجية للملفوظ، وهو ما يؤكده السكاكي بقوله: "وترى أئمة النحو يقولون: إن" تأتي إثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواها، ويذكرون لذلك وجها لطيفا يسند إلى علي بن عيسى الربعي، وأنه كان

---

[6] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 332.
[7] - مقامات الحريري، ص 252.
[8] - عبد القاهرالجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 330.

من أكابر أئمة النحو ببغداد، وهو: أن كلمة "أن" لما كانت لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه، ثم اتصلت بها "ما" المؤكدة لا النافية، على ما يظنه من لا وقوف له بعلم النحو، ضاعف تأكيدها، فناسب أن يضمن معنى القصر؛ لأن قصر الصفة على الموصوف، وبالعكس، ليس إلا تأكيدا للحكم على تأكيد"[9].

يبيّن السكاكي بأن لهذا الرابط دورا فعّالا في زيادة القوة الحجاجية للملفوظ الذي جعلته "إنما" ضربا إنكاريا، حيث أُكد ب"إنّ" و"ما" التي استخدمت في هذا الموضع للتأكيد.

ويظهر جليا أن هذا العامل يعمل عمل "ما إلا"، فلو استُبدل به لما تغيرت القيمة الحجاجية للملفوظ، حيث يمكن أن نقول:

1-ما الفخر إلا بالتقى والأدب المنتقى.

وهو ما يراه السكاكي حيث يقول: "نزل القيد الأخير من الكلام الواقع بعد "إنما" منزلة المستثنى، فقدر نحو: إنما يضرب زيد، تقدير: ما يضرب إلا زيد....ولا تجوز معه من التقديم والتأخير ما جوزته مع "ما" و"إلا"، ولا تقسه في ذلك عليه، فذاك أصل في باب القصر وهذا كالفرع عليه"[10]، ويقول أيضا: ""والسبب في إفادة "إنما" معنى القصر، هو تضمينه معنى: "ما وإلا"[11].

[9] - السكاكي، مفتاح العلوم، ص 403.
[10] - المصدر السابق، ص 411-412.
[11] - المصدر نفسه، ص 402.